لم قبل الدستور وبعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حملت عليهم جرائد الهند الاسلامية ورمتهم بالكفر والالحاد ، واسقاط خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر عبثهم بالدين وتعصبهم على العرب وشبرهم تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآستانة فأقمت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وعلمت بالاختبار الطويل ان كل ما قيل فيهم دون الواقع كما بينته في المنار

وجملة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في الحجاز أعظم الامراء العثمانيين هو أعظم الحجج على ملاحدة الاتحاديين ، كما أنه تأييد من سيد العرب لطلاب الاصلاح من العرب ، لانهم بنوا سعيهم على أساس المحافظة على الدولة العثمانية ، ومن قواعدهم ان لايكونوا سببا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق وحدتها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين : البوسنة والهرسك وطرابلس الغرب وألبانية ومكدونية وكريت وجزائر الارخبيل الرومي - دع ولاية البصرة . والولايات الارمنية والاناضولية التي ذهبت في هذه الحرب - ولم يكن العرب سببا في زوال شيء منها . فهذه أكبر حججنا على هؤلاء المخربين

باب المراسلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

﴿ وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

للفاضل التيور — م . ن — صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة حكيم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية !

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحرير ولا يسع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالي اليومية اشغلا شاغلا . فان اكتب اليكم فانما اكتب مدفوعا بعامل القيام بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت المنار الحي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرق حجب القلوب ويفتح الاذهان ، ويوقظ النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش للنفوس المحرك للهمم ، اصبح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية شبح بلا روح

كتبت رسالتي الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى العمل بهذه الفريضة واقامة الحجة امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه وفي كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن لدي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في الحال ، ما يحتاج اليه المشروع من المال ، فقد كان رجائي عظيما في النجاح التدريجي الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تعاني الامة الاسلامية من أدوائها الاجتماعية .

لذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية زيادة في التذكير ، وتأكيدا للانذار والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين في البقاء في هذه البؤرة النتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله متعلق بمشيئتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتي الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت لأدعوهم الا الى حق وأوضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن أكذب . وأقمت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء وأطلت الانتظار فألفيتهم صموا عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما تثاقلت عنه نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزنني أن تخيب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الا صدى لاصوات صاحب المشروع ومن نصروه فيه من قبلي . وانما حزني وأسفي لحرمان الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي أجابتها، ولكن ماحيلتي وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجحدت واستكبرت . وقد فشلت دعوة الكثيرين من أهل الغيرة والاخلاص من قبل فلم ينقص إعراض الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة ما دعوا اليه شيئا، اذ الحق حي بذاته لا يضره أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يغلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة لعبرة وذكرى للمنشئين المتسرعين

انه ليقع الانسان في الحيرة ويأخذه العجب لخيبة دعوة الحق بين المسلمين وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشر فيهم وفي اجابتها هلاكهم وشقوتهم . فما أشد ظلمهم لاهل الحق الذين يغارون على الامة ويريدون لها الرشاد، وظلمهم لانفسهم باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد ! . ولقد ود المصلحون لو أن الامة عرفتهم فأنزلتهم منازلهم وسمعت لقولهم واقتفت أثرهم فنهضت بهم . لا يسأل هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح أعلا من أن يقوما بشيء من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة أجر وما هو من قبيل ثمن الشيء مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستعينون به على عملهم الذي يقيمون به لخير الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطرهم وهو وحده الذي يقدر عملهم ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم ينفثون السم في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي، ويدعون اليه من عمل؛ ويسلبون أموال الامة أجرا على هذه الضلالات، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة حياة. فهم لذلك يتهالكون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه، فهو غرضهم الذي اليه ينتهي الامل، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات وأعوان الهوى وأولياء الشيطان، وأولئك هم دعاة الفضيلة وناصروا الحق وحزب الرحمن،

فيا ليت شعري أي الفريقين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قيلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أتستبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟ وتندفعون الى الاوهام والضلالات مختارين وتستسلمون الى الشر ؟

ودّ كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق والصلاح وهم المحبون الصادقون ، وعلة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد وهم الاعداء الظاهرون . فانه لابد لذلك من سبب ومتى عرف السبب زال العجب .

ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين . والا فلماذا يعادي هؤلاء المسلمون أنفسهم و يعطفون على أعدائهم ؟ ولِمَ يعرضون عن مصالحهم و يسارعون الى هلاكهم ؟ وما الذي حسّن اليهم الباطل و بغضهم في الحق ؟ وأي شيء سوّغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات ؟ ولاي سبب يصافحون الشيطان و يغضبون الرحمن ؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية ؟

انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخالفة للعقل والنقل وأحوالهم مرذولة غريبة الشكل . وانما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العامّ الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها ، فحجبت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن . فمرض الامة هو سبب كل ما تنكر من ميولها وحركاتها وسكناتها . فاذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها من الزعيم . وهو قول حق لا ريب فيه ، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معا لنهضت الامة من كبوتها وحييت حياتها الطيبة ولفارقها الشقاء ، وزال عنها ما نزل بها من البلاء ، ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا ؟ الآن وقد عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فمن السهل معرفة علاج هذه الحالة أيضا . إنه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء .

لا علاج لضعف استعداد الامة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي ثبت صلاحه وتأكد نجاحه ناجع في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل ، وكذلك الصالحون من بعدهم . ذلك العلاج هو اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

أن الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة وخابوا وشقوا ما أهملوها . فكما أن دائنا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وهي أعظم ما فرض العليم الحكيم على أتباع أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم ، واهمالها دليلا على ضلالهم وخسرانهم واستحقاقهم للمقته « لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » من عدة أجيال فنقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت تحمي بها الاموال والاعراض والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد ذلك — وقد خفت صوت الامة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ، كالعقد الذي تبعثرت حباته أو كذرات الرمال التي تتجاذبها الرياح والاهواء المختلفة فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ، واستبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، وبالجملة ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان ، وليس الخبر كالعيان . تلك عاقبة الذين نسوا حظا مما ذكروا به باهمالهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل التي أضعفت استعدادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يعتذر القادرون على الاصلاح عن اغفالهم ذلك الواجب العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل والشر ، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب اهمال هذه

الفريضة . كما غفلوا عن كونها أحوج الى الارشاد في هذه الحالة منها في سواها !

ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يُسئل عنه سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقاله وتتجرع مرارته (ولا تزر وازرة وزر أخرى) . فلا يصح ان يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف استعداد الامة للحياة أو بعبارة ثالثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم ليغير من موقف المصلح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه، وان يقرر الحقيقة وان لم يفقهها الا نفر قليل منهم،ولد عوته مع ذلك حجة على الطائع والفاسق،وما الاخير لقلة استعداده بمعذور (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون * وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون * ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء * ما على الرسول الا البلاغ)

وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفقهوا دعوتهم أو لم يقبلوها. وكذلك كان شأن الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لتؤثر في همة أولئك الهداة وعزمهم ، أو ترجعهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان عملهم كان لغوا لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلا بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين وعلة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق تصيب الغرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء أدرك الداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته، فهي محدثة أثرها على كل حال . فمثل الكلم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا

يسير بيطء تبعا لحالة المولد وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لاتدركها الابصار ولا تتناولها الحواس. فاذا مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجئ الغافلون بالنتائج الصغيرة أو الكبيرة التي نشأت عنها . وبالجملة انه كما ان لكل حركة أثرا في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في ردع الناس عن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلام الطيب دعوةً للخير ومقاومةً لدعوة الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه العداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وستبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فعلينا ان نفهم هذه الحقيقة ولا يطمعن أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود. انه لا ضرر على الحق من هذه العداوة أو المخاصمة التي لامفرّ منها. فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان يتازل باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لايوجد باطل وان الباطل ليتضاءل أمام أشعة الحق كلما اقترب منه كما تتضاءل الظلمة أمام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لايغلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ماغاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لانفوذ لباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب لقدوم الحق فانه لا يترك مكانه لباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل. ان الحق حق ولايمكن ان يكون الاحقا، والباطل باطل ولا سبيل الى جعله حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، ليتم له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدعون انتهم أهله اذا قصروا في القيام به ونصره ، والا فنحن نخشى أهلَ الحق أهلَ الباطل وهؤلاء ضعفاء بضعف ما لديهم

من باطل ، وأولئك أقوياء بما لديهم من الحق ؟ لا يجوز لاهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبطلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرارا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اقلاق بالهم وقذفهم بالحق دائما بدون رأفة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم ويقظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بطامة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكرانه وان استطاعوا انكاره فلا يقدرون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وانما يصر الا كثرون منهم على ما يعرون جهلا منهم وتوهما أنهم على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صادّ مهما عظمت المهمة و بعدت الشقة ، واذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح ان يُرضى به على أي حال.

ان الحالة قاضية بتنبيه المسلمين الى الخطر المحدق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري: انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب المبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء و يامعشر الرجال أنتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرصون غاية الحرص عليها انما هي من مخترعاتكم ومخترعات آبائكم ، وأن العقل ينكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العليم العلام ، ولا سببا لقضاء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي انبعثم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسيرون عليها الحطة عوجاء وهي سبب ما نزل بكم من البلاء . فارجعوا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وماشاكله للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريبا للعقول والافهام . فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وليس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هداهم وانما الهدى هدى الله .

قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن يفتحوا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ، ويوسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤلون عن ضياع كلمة الحق بينهم. وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات، فيكفي منها الاقلاع عنها وعمل الصالحات ليبدلها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة رسوله (ص) وبين أيديهم آثار أهل الحق ورجال الاصلاح ، وتحت أنظارهم الامثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهمم فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات العظيمة التي تقوم بها الامم العزيزة القوية ؟ ان المريض وان اشتد به المرض قد يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بارشاده . فلماذا لا تطلب هذه الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل ذلك ميسور لها سهل عليها . بل ما الذي يمنعها من الاصغاء لنداء أهل الحق والاصلاح الذين يمنّ الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع اللب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله الامة الاسلامية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي للنهوض بالامة واسعادها لو وجدوا منها سميعا وناصرا ومطيعا. انه قضى منهم اثنان وها هو ذا الثالث يترع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف له حتى الآن قدره؟ ان صوت المنار هو حجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الازمان

افلاينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالا بعيدا ! وهل شيء أدل على ضعف دينهم وانحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فقر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علمائها عن رد مزاعمه وابطال شبهاته سوى رجل الاصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ماكان ليتحدى برسالته صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعا لو لم يرد عليه بحرف واحد. فهل الامة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يعدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواه؟ قد يكون ذلك صحيحا ويا للاسف وقد لايكون صحيحا . ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكتت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروج جميعا الى الميدان ! فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسموا أنفسهم رجال الدين وائمته؟ وهل يغتر الغافلون بتظاهر أهل العمائم والفرجيات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصلاح والغيرة على الدين والعمل لمصلحة المسلمين؟ ألا ليت شعري بماذا يعللون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وباي شيء يؤولون اهمالهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟ لاجواب على ذلك الا ان الهمم مصروفة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل

لم تفقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقدا تاما اذ هي لاتخلو من استعداد لقبول دعوة الخير الى حد ما والا لكانت شرا محضا . ولا يوجد في الكون محض شر والا لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقده تماما. وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبيها في وقتها لقصر في النظر وقلة في الفهم ، وضعف في القلب . وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم ، فان ذلك الضعف وذلك الحرمان منها وهي التي ولدتهما كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع. ولكن الامة هي التي توجده بتمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبناؤها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعلة في باصرتها أو بصيرتها فاذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينيها

فالامر كله راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تتعاطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة باعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء و باستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني يئست من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لاتكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها .

انه ماكان للسيد الامام وهو طبيب الامة الاوحد أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه و بلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والمحفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربى المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباه قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير المنار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة. ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليجعل منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كنزا ثمينا لانفاد له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لاقوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوّم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قُسّم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ انهم بخلوا بهذه الدريهمات ولذلك مات المشرع فماتت بموته آمال عظام. انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفزعنا فسيخلقه الله خلقا جديدا وما ذلك عليه بعزيز . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة، ولكنه سيعود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز فخر القيام به. انه مات ولكنه في الحقيقة لم يمت، فقد مات بشكله الذي انشئ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللاستاذ بعلو الهمة والاخلاص. مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يمت وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيفا مسلولا فوق رقاب المفسدين ، وحجة لله تعالى على المجرمين .

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوكم لى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغنتكم النذر ، وانما أدعوكم الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطالبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقال والقيل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقد تم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتعاظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نعم انكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسطتم في مهواة الخيبة والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفعالكم الارض واستغاثت السماء وغضب الرب ، ولكن العلاج لا زال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمنا . ولا يعوزكم الا السرعة في العمل ، قبل ضياع الامل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل مابقي من رمق فيكم، فاحفظوا هذا الرمق وانجوا بأنفسكم والا هلكتم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .

يؤلمني انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل لنفسه الاعذار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ! ذلك بأنه لا جامعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ! ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكلمة الحق مطالب بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة الحاضرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل العقل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخاطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم سواء منهم المعمم والمطربش ، الكبير والحقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الطاهي والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والعجمي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجبتم فان الله يعدكم من لدنه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان توكلوا فحسبكم ما أنتم فيه جزاء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوكم أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخيركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخيركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعضيده في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا وان تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين واني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنشىء المنار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فنوجه اليها انظار المسلمين ونخص صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣

صالح رضا